الأصول الفلسفية للتربية العربية الإسلامية

الأستاذ: احمد ناشف

جامعة الجزائر 2

البريد الالكتروني:ahnach99@gmail.com

ملخص باللغة العربية:

إننا إذ نعالج موضوع أصول التربية العربية الإسلامية من خلال هذا العمل،نريد أن نساءل هذه التربية العربية الإسلامية من خلال الواقع الذي نعيشه، بمعنى إذا كان واقع التربية في العالم العربي الإسلامي منقسم بين تيار يدعو إلى العودة إلى التراث التربوي الإسلامي،وتيار–يريد-أو انخرط في الحداثة وقيمها وضرب عرض الحائط التراث ،وكان مضطرا مأخوذا لذلك لعدة اعتبارات تاريخية وحضارية،متداخلة ليس هاهنا ذكرها. وسؤالنا ليس المراد منه إحياء التراث أو تفصيله وإنما نحاول استكشاف المنظور التربوي الإسلامي والسؤال هو:هل في التربية العربية الإسلامية ما يمكن الإفادة منه من أجل تأسيس التربية المعاصرة في العالم العربي؟

الكلمات المفتاحية: التربية،الفلسفة،التربية العربية،الحداثة

Résumé en français:

Comme nous abordons le sujet des origines de l'éducation arabo-islamique à travers ce travail, nous voulons regarder cette éducation arabo-islamique à travers la réalité dans laquelle nous vivons, ce qui signifie si la réalité de l'éducation dans le monde arabo-musulman a divisé le monde entre les appels de retour à l'héritage éducatif islamique et d'autre engagé dans la modernité, et il fut obligé obsédé pour un certain nombre de considérations historiques et culturelles, qui se chevauchent est pas mentionné ici. Notre question ne lui est pas destiné à faire revivre le patrimoine ou détaillée, mais nous essayons d'explorer la perspective éducative islamique La question est:. Est-ce dans l'éducation islamique arabe qui peut en profiter pour établir une éducation moderne dans le monde arabe ?

Mots clés: modernité ,monde arabe, origines, islamique, éducation

المنارة للاستشارات

مقدمة:

إن السؤال عن الأصول في التربية أية تربية كانت هو سؤال فلسفي بالدرجة الأولى، ذلك أنه حسب "ديوي" -هذا الفيلسوف المناهض لطرق التربية الجامدة والمقلدة -أن الفلسفة ماهي إلا نظرية عامة في التربية ،فكل من فكر أو أعطى نظرية أو منهجا، فإنما ذلك نابع من إنسان وموجه إلى إنسان. وحركة الأفكار هذه،هي التي سوف تؤسس في الأخير لسنن التناقل بين الأجيال، حيث يحدث نوع من التخصيب والتلاقح ينطلق من بيئة محلية إلى مجال أوسع بين بني البشر وذلك هو عمل الحضارة ومنشأ الصنائع بالمنظور الخلدوني، وتنشأ فلسفة التعليم.

فالتربية والتعليم بالرغم إنهما خاصية إنسانية وطبيعية في البشر، وهذا ما توضحه حقائق تاريخ الفكر التربوي، فنجد كل مجتمع وقد اصطبغت حضارته ومعالم فكره بحسب نوع التربية والغايات القصوى التي ينشدها.

ونقطة التحول داخل الخطاب التربوي*، إما أن تكون من خلال السؤال. ليس بمعنى الاستفهام، ولكن بمعنى التشكيك والاستشكال، فنلاحظ مثلا سؤال سقراط الساخر من المجتمع اليوناني وفي بنائه المصطنع، وفي محاولته لخلخلة البنية الفكرية،والتقليدية ،والهرمية، نحو اعادة تأسيس حوار عقلاني، ثم لننظر على سبيل المثال في جمهورية أفلاطون التي قال عنها "روسو" "إنها كتاب في التربية العامة"، ونحن نعلم أن أفلاطون قد زرع الكثير من الأفكار داخل جمهوريته فهي سؤال ونظرية مجتمع تنم عن رفض التربية السائدة ،والتأسيس لمنظور جديد، منظور إبداعي، يعجل بالانتقال السريع والمدروس ولا ينتظر تعاقب الأجيال، وهذا هو فعل التربية في التغيير عن طريق السؤال بمعنى وضع الراهن تحت سلطة الشك للخروج من التقليد ، والنمطية، والتسلط.

وإذا نحن عدنا إلى أصول التربية العربية الإسلامية فان أول ما نلاحظه، هو أن الإسلام كرسالة سماوية قد أخرج العرب في شبه الجزيرة العربية من حالة طبيعية وسياسية واجتماعية إلى حالة تكاد تكون مخالفة لها أو جديدة كل الجدة عن الأولى، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) هو أول معلم للمسلمين دينهم، وأول مربي لهم على الفضائل،وحسن التدبير والسلوك فكان قدوة المسلمين وهو النبي صاحب الوحي [القران الكريم].

المنارة للاستشارات

ونحن إذ نعالج موضوع أصول التربية العربية الإسلامية من خلال هذا العمل نريد أن نساءل هذه التربية العربية الإسلامية من خلال الواقع الذي نعيشه، بمعنى إذا كان واقع التربية في العالم العربي الإسلامي منقسم بين تيار يدعو إلى العودة إلى التراث التربوي الإسلامي الأصيل وتيار –يريد- أو انخرط في الحداثة وقيمها وضرب عرض الحائط التراث التربوي الإسلامي،وكان مضطرا مأخوذا لذلك لعدة اعتبارات تاريخية وحضارية،متداخلة ليس هاهنا ذكرها.

وسؤالنا ليس المراد منه إحياء التراث أو تفصيله وإنما نحاول استكشاف المنظور التربوي الإسلامي والسؤال هو هل لنا بتربية معاصرة تراعي هذا الانتماء التاريخي والهوياتي والتراثي؟ بمعنى هل في التربية العربية الإسلامية ما يمكن الإفادة منه من أجل تأسيس التربية المعاصرة في العالم العربي؟

إن هذه الأسئلة أكبر من أن نجيب عنها، ولكن نحاول على الأقل توظيف فلسفة المسلمين التربوية والتعليمية.

1/ العرب من الجاهلية إلى الإسلام:

إن أول سؤال تجدر الإجابة عنه بإيجاز هو من هم العرب؟ يذكر "الجابري" عن كتب التراث أن النسابين يصنفون العرب ثلاثة أصناف تعاقبت في التاريخ حسب الترتيب التالي:

1- العرب البائدة وهم "قبائل عاد وثمود وإرم وجوهم وطسم وجديس" وقد انقرضت هذه القبائل جميعها.

2-العرب العاربة، أو العرباء، وهم العرب الحقيقيون، لأنهم المنحدرون من نسل يعرب بن قحطان، هو أبو اليمن كلهم، وهو أول من انطق الله لسانه بلغة العرب.

3-والعرب المستعربة: ويقال لهم أيضا المتعربة وقد سموا بهذا الاسم لأنهم "دخلاء ليسوا بخلص"[1] ويرى " بعض النسابين أن العرب المستعربة، قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم"[2].

[1] المرجع نفسه ص22.

[2] الجابري، المرجع السابق ص 22.

المنارة للاستشارات

وفي مقدمة هؤلاء "العرب المستعربة نسل إسماعيل حيث "نشأ إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام مع العرب الحقيقيين المنحدرين من يعرب بن قحطان ...فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة"[1]

وعلى هذا الأساس يذهب النسابون إلى اعتبار أن العرب ينتظمون في سلسلتين من النسب:

- نسل قحطان وهم العرب الخلص عرب الجنوب [اليمن].
- ونسل عدنان وهم العرب شمال الجزيرة العربية[2]

غير أن اسم العرب صار يطلق على كل من سكن شبه الجزيرة العربية ونطق باللسان العربي، فمفهوم "العرب" اذن حسب "الجابري" مرتبط بالمرجعية التراثية ولأحداث الماضي، ذلك أنه بمجرد انتشار الإسلام في اسقاع العالم تحول المفهوم إلى اسم المسلمين والذي يضم العرب وغير العرب[3]

أما مفهوم العروبة فهو يحيل إلى صفة في العربي وهي الفصاحة، وبما أن الفصاحة كانت خصوصية سكان البادية لحفاظهم على نقاوة اللغة حسب ابن خلدون فان العروبة أصبحت صفة للبدوي وثم يقال "الأعراب" وهم سكان البادية."من اجل هذا نجد "ابن خلدون" يستعمل عبارة "خشونة البداوة" وعبارة "حياة العروبية" بمعنى واحد تقريبا"[4] ليعبر عن معنى الخشونة وصعوبة الحياة، والبداوة تقابل الحضارة عند "ابن خلدون" التي توجد في المدن، كما نجده يقول "العرب" في إشارة إلى جميع العرب ونمط حياتهم.

غير أن العالم العربي الذي نعنيه اليوم هو المجتمعات العربية التي انتظمت في شكل دول ودويلات عربية إسلامية من شبه الجزيرة إلى الشرق الأوسط إلى شمال إفريقيا وهذه المجتمعات تكاد تكون متقاربة من حيث واقعها وتكوينها وظروفها.

---

[1] المرجع نفسه ص 22.

[2] المرجع نفسه ص 23.

[3] المرجع السابق، ص 23.

[4] فاخر عاقلّ، التربية قديمها وحديثها، درا العلم للملايين. ط4، بيروت- 1985. ص49.

المنارة للاستشارات

أ/ التربية عند عرب الجاهلية:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن "تاريخ العرب في جاهليتهم مشوب بالغموض، لا تتوافر الوسائل لدرسه دراسة توضح معالمه وتمكن الباحث من تقرير واقعه"[1] ويعود ذلك في أغلب الاعتقاد إلى عدم وجود اهتمام كبير بالتدوين، رغم ما وصلنا من شعر ثري وينقسم عرب الجاهلية إلى بدو وحضر " أما البدو فأقوام رحل يتنقلون في طلب المرعى وانتجاع المياه، لذلك فقد كان تأمين معاشهم همهم الأكبر الذي صرفهم عما عداه من شؤون الحياة"[2] وهناك الحضر "كانت لهم مدنهم وحضارتهم وبالتالي مدارسهم، ومؤسساتهم العلمية ازدهرت حضارتهم في جزيرة العرب وتعدتها إلى العراق والشام"[3]

أما من حيث علومهم ومعارفهم نورد قول الإمام "صاعد الأندلسي" في كتاب "طبقات الأمم" "إن علوم العرب كانت علوم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب، والعرب أهل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار، ثم كانت لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها، على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في سبيل المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم"[4]

وقد كان للعرب في الجاهلية أسواق ومجالس أدب "ففي الأسواق يجتمع الناس في مواسم معينة فيبيعون ويشترون وينشدون الشعر، ويلقون الخطب فيحكم بينهم قضاة من فحولهم، مما كان له أطيب الأثر في ترقية اللغة وتهذيبها والنهوض بالشعر والنثر مما ترك لنا ثروة أدبية ذات بال"[5]

ويعتبر القران الكريم، والشعر الجاهلي، والأدب العباسي، من المصادر التي أشارت إلى عرب الجاهلية وما عرفوا من فنون أدبية وحسية،غير أن التربية والتعليم عند البدو تختلف في غرضها عن تلك التي في الحضر، فالبدو كانوا أميين "عاشوا على تجارب ومقتضيات حياتهم البسيطة وأتقنوا من الفنون والعلوم ما كان على

---

[1] المرجع نفسه. ص 49.

[2] المرجع نفسه. ص 49.

[3] نقلا عن: عبد الله،عبد الدايم. التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 133-مذكور في [طبقات الامم للامام صاعد الاندلسي ص42]

[4] فاخر عاقل، التربية قديمها وحديثها. المرجع السابق ص51.

[5] المرجع نفسه ص 50.

المنارة للاستشارات

صلة بحاجاتهم اليومية كعلم النجوم يستفيدون منه في تنقلهم والطب والقيافة والفراسة والانواء"[1]

فالتربية عند البدو كانت نوع من تحمل الأعباء التقليدية في الأسرة والعشيرة بمعنى إعداد الناشئ على حياة بسيطة مناسبة للبيئة ومتطلبات المجتمع العشائري مثل استعمال السلاح وركوب الخيل وبسط السلطان والغلبة...وعموما تتميز بالبداوة بالخشونة وقوة البأس.

أما من حيث الأخلاق فلا شك أن البدوي يعلم طفله عادات العشيرة وأخلاقهم وشيم الشهامة[2] أم غرض التربية عند الحضر من العرب في الجاهلية فقد كان "إعدادهم لحياتهم الحضرية عن طريق تعليمهم الصناعات والمهن وتدريسهم الطب والهندسة وطرق الري وفن البناء والنقش وغيرها من الحرف "[3] *

إن الأسرة والعشيرة هما الوسط التربوي للطفل البدوي، حيث يتعلم عادات وتقاليد القبيلة أبا عن جد، أما الطفل الحضري فقد كان يتعلم أبجديات الكتابة والقراءة والحساب والفلك والطب والأدب والتاريخ[4] "ومن أشهر الأسواق [عكاظ-ومجنة وذو المجاز" كانت مكان للمناظرة و إلقاء الأشعار والتباري بينهم، ويتبادلون الأخبار ويتدارسون أمورهم من ذلك مجلس قريش[5] الذي يشبه المجالس النيابية اليوم.

---

[1] فاخر عاقل، المرجع السابق، ص50.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

* وتذهب "ملكة الأبيض" إلى " إن الثقافة البسيطة التي كانت عند العرب قبل مجيء الإسلام، كانت طريق المشافهة والسماح باحتكاكهم مع بعض اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون بينهم، وكذلك عن طريق القوافل التجارية حيث كانوا يترددون على بلاد مصر والفرس والحبشة" " وقد أهتم العرب منذ القديم بمعرفة أخبار الماضين من العرب وأحوالهم، وخصوصا أخبار حروبهم وأيامهم وقصصهم وأنسابهم، كما أفادوا من رحلاتهم التجارية معلومات جغرافية عامة عن الكون والبلدان المحيطة بهم وأقاليمها، وحصلوا على بعض المعلومات الفلكية والطبيعية كالنجوم ومنازل الشمس والقمر والأفلاك وحركاتها... وبعض المعرفة بالطب والصيدلة...."
ملكة الأبيض، التربية في الوطن العربي، ص 43.

[4] المرجع نفسه، ص 51.

[5] المرجع نفسه، ص 51.

المنارة للاستشارات

وعموما فإن العرب في الجاهلية تميزوا بعدة مناقب فكانوا أهل لغة و شعر وترحال وعرفوا شيئا من الكتابة والقراءة والفراسة وفنون الحرب وغيرها، ولم يبلغوا طور التمدن أو الحضارة، لذلك فإن مجيء الإسلام كان بمثابة حداثة العرب الأولى، غير أنها كانت حداثتهم التي أبدعوا فيها من داخلهم ومن ثم توجهوا إلى الأخر بانفتاح على الحضارات الأخرى.

فالإسلام هو إذن من سيخرج العرب من الحالة الأولى* إلى حالة الحضارة الإنسانية.

والسؤال هنا كيف نظر الإسلام إلى الإنسان؟ أي كيف نربي الإنسان في الإسلام؟

*التربية العربية الإسلامية مصادرها وأسسها:

إذا كان من المتعارف عليه في العلوم الاجتماعية والإنسانية أن لكل مجتمع فلسفة في الحياة، استمدها من اجتماعه بالأخر ومن تجربته التاريخية ومن ميراث أجداده وآبائه وفي فلسفة الحياة هذه هناك فلسفة للتربية بمعنى تربية الأجيال الراشدة للأجيال الناشئة، فإنه في حالة العالم العربي الإسلامي كان الإسلام كوحي جاء به النبي(صلى الله عليه وسلم)، أرسله الله في الناس كافة يعلمهم أمور دنياهم ودينهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح هو مصدر فلسفتهم التربوية بالأساس.

والتربية الإسلامية قامت في أصولها على ركيزتين أساسيتين هما القران الكريم، والسنة، فالقرآن كتاب الله المنزل، والسنة هي عمل وأحاديث النبي(صلى الله عليه وسلم)، وهما منهل التربية الإسلامية، ومنها استمد المسلمون نظام حياتهم والمبادئ العامة، وكان الرسول(صلى الله عليه وسلم)، أول معلم لهم عندما جعل من القران الكريم دستورا للمسلمين ومنهجا احتاج إلى الشرح والتفسير وضرب الأمثلة والأحاديث.

---

* نسميها الحالة الأولى ولم نطلق عليها حالة الطبيعة أو حالة بدائية أو غيرها ،على اعتبار إن العرب قد عرفوا شكلا من أشكال الحضارة ،وكانوا رواة شعر وتذوق،وأهل حرب وفروسية،كما تميزوا بنقاوة بيئتهم من التطرف الديني،والطائفي ،حيث لم يجد الإسلام من المنافسة الشديدة في الأفكار سوى تشبث العرب بعاداتهم وتقاليدهم (الجاهلية)ويمكن العودة إلى النص القرآني والأحاديث للدلالة على ذلك.

المنارة للاستشارات

وقد قدم الإسلام للإنسان مبدأين متلازمين هما شرط كل مسلم أولا الجانب العقائدي القائم على التوحيد وضد الشرك، وبين سبل التوحيد والإيمان، وحذر من عواقب الشرك.

كما أعطى للإنسان منهج للحياة متكامل بداية من فقه العبادات إلى المعاملات وكل شؤون الحياة وربط كل ذلك بالعبادة لله وحده.

والحقيقة أن القرآن الكريم "يعطينا القواعد الأساسية التي من خلالها يستطيع الإنسان إدراك المنهج السليم في معرفة الصدق من الكذب والتمييز بين الحق والباطل، وكل ذلك عن طريق الحجة والبرهان وليس مجرد التقليد أو الظن والتخمين"[1]

ثم أن مبادئ الإسلام المستوحاة من القرآن والسنة استطاعت أن تجد لها تطبيقا عمليا وواقعيا في حياة الإنسان المسلم في صدر الإسلام وزمن الخلفاء الراشدين، كما أكدت على إمكانية تطبيقها في أي زمن ومكان، وكان محورها الإنسان وتربيته وتكوين شخصيته المتوازنة العابدة.

والتربية الإسلامية في عمق فلسفتها تتميز بالتوازن بين كل جوانب الإنسان بل "وينبغي أن نعلم أنه على الرغم من أن الإسلام بعد انتشاره في الأمصار المختلفة قد اتسع لأدب الفرس، وفلسفة اليونان، وأنظمة الروم، ورهبنة المسيحية، فانه ظل أقوى من تلك الثقافات جميعا، متغلبا عليها، حتى ليصح القول، بان التربية الإسلامية، برزت على ما عداها وأصبحت ذات خصائص واضحة المعالم بارزة السمات"[2]

وتجمع التربية الإسلامية بين " تأديب النفس وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم"[3] كما أنها شاملة لكل مناحي الإنسان "فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأي نوع منها على حساب الأخر، فمن المعروف أن النبي(صلى الله عليه وسلم)، افتدى أسرى بدر، بتعليم عشرة من أبناء

---

[1] علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التربوي الحديث، ص 76.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف بمصر، ط02، القاهرة:د.ت، ص 08.

[3] المرجع نفسه، ص09

المنارة للاستشارات

المسلمين القراءة والكتابة... ومن وصايا عمر بن الخطاب أن يعلم المسلمون أبنائهم السباحة والرماية"[1]

لقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم)، هو المعلم الأول للمسلمين،حيث يظهر ذلك جليا من خلال الحديث الشريف، فكل الأسئلة التي تطرح كان يجيب عليها وبعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، "جرى الناس وراء عقولهم واسترسلوا في التساؤل بعد أن عرضت لهم مشكلات الحياة الجديدة وانهال على الصحابة الكثير من الأسئلة الخاصة بالفروع، وكان كثير منهم يجيبون برأيهم ويستعملون القياس والنص بعد التثبت منه"[2]

ولعل أول عمل منهجي علمي قام به المسلمون هو جمع القران وتوثيقه، وهي طريقة منهجية بامتياز، ومن ذلك كانت أولى الدراسات والعلوم عند المسلمين "هي الدراسات القرآنية والتفسير"[3]

وبعد أن تفرق المسلمون نتيجة الفتوحات في مختلف الأمصار، تأسست المؤسسات التربوية والتعليمية كالمساجد والكتاب، والمدارس الإسلامية، وكان منطلق التعليم فيها هو القران والحديث والفقه وبدأ التأليف العلمي عند العرب مرتكزا على هذه المصادر، خاصة و أن الأسئلة كثرة وأصبحت الحاجة إلى فهم هذا الدين، ونشر رسالته "باعتباره نظام حياة، فكانت القراءات والتفسير والحديث، ثم الفقه وعلوم اللغة والشعر ومسائل النحو"[4]

والمتأمل في تاريخ الحضارة الإسلامية منذ صدر الإسلام حتى أوجها يلاحظ أن المسلمين كانوا أكثر انفتاحا على الحضارات، وإقبالا عن غيرهم من أصحاب الحضارات المجاورة، وهي خاصية موجودة في الإسلام وانطبعت على سلوك المسلمين مع غيرهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنهم على الرغم من اتصالهم بغيرهم من الشعوب والحضارات فإنهم لم يتأثروا فقط بل أبدعوا في شتى مجالات العلوم والمعارف وطاوعتهم في ذلك اللغة العربية في أبحاثهم وأعطتهم من الألفاظ والصيغ ما

---

[1] احمد فؤاد الأهواني،المرجع السابق، ص09.

[2] علي خليل أبو العينين:أصول الفكر التربوي الحديث،مرجع سابق، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص79.

[4] المرجع نفسه، ص79.

المنارة للاستشارات

يسد الحاجات والإبداعات[1] هذه اللغة التي يصفها اليوم البعض بدافع أو بأخر بأنها لغة جامدة وغير علمية، فلماذا كانت لغة علم وفلسفة في الحضارة العربية الإسلامية؟ أليس عنصر الإبداع هو الذي يطور اللغة ويثريها؟

ولعل ظهور حركة الترجمة[*] كان لها دفعا قويا في عملية التأسيس العلمي والعقلي للحضارة العربية الإسلامية، فلم يكتفوا بالنقل فقط وإنما أضافوا وعلقوا وشرحوا.

ويعتبر عصر المأمون أهم فترة ازدهرت فيها الترجمة[**] من القرن الثاني إلى الرابع الهجري وشملت كل الفنون من الطب والنجوم والحساب، والرياضيات والطبيعيات ووصلت إلى الفلسفة وعلم المنطق[2] لقد كان ذلك دليل اتصال المسلمين بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة ومؤسسة "دار الحكمة" هذه المؤسسة التي "وضعت بين أيدي المفكرين المسلمين كل التراث الهيليني الكلاسيكي الذي جلبه معهم العلماء الوثنيون الهاربون من اضطهاد الإمبراطور "جوستنيان" في "القسطنطينية" والذين هاجروا بعلومهم ومعارفهم إلى سوريا والعراق وفارس وخصوصا إلى مدارس نصبين و"جنديسابور" و"الرها" و" حران""[3]

وبعد أن "امتد الإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين إلى هذه البلدان اتصل اتصالا مباشرا بهذا الميراث الوثني المادي ووجد بعض المسلمين فيه جدة وجاذبية فأقبلوا عليه متحمسا"[4]

إن هذا المسار التاريخي الذي نحصره ونختزله في عبارات مقتضبة كان نتيجة تداعيات مختلفة أولها الطابع الإنساني والانفتاحي والكوني للإسلام، وثانيا الإبداع

---

[1] على خليل أبو العينين، المرجع السابق، ص80-81.

[*] يذهب الكثير من الباحثين في الفكر التربوي العربي الإسلامي إلى التأريخ لهذا الفكر بقيام "دار الحكمة" في بغداد [217هـ -832م].

[**] إنشاء دار الحكمة، وحركة الترجمة "فإن معنى هذا ان بروز هذه المؤسسات الفكرية العلمية كان ذروة لتحولات عقلية كانت تتزاحم تحت تيارات الحياة العادية في المجتمع ثم بدأت تصعد إلى السطح منذ عصر التدوين في القرن الثاني للهجرة"
محمد جواد رضا، الفكر التربوي العربي الإسلامي، ص610.

[2] المرجع نفسه، ص82.

[3] محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة [ص 170-171].

[4] المرجع نفسه، ص171.

المنارة للاستشارات

العلمي والفكري الذي صاحب هذه المسيرة، وثالثا هو لغة الإبداع التي كانت اللغة العربية دون منازع.

وعلى هذا الأساس ومن هذه المنطلقات التاريخية والفكرية سوف تتأسس الساحة الفكرية والثقافية العربية "إذا أضفنا هذه الجهود إلى نتائج التواصل المثابر مع العقل اليوناني تبين لنا بوضوح انه مع نهاية القرن الهجري الثاني، كانت الساحة الثقافية معدة إعدادا جيدا للانقسام الكبير في الحياة العقلية العربية الإسلامية بين منهجي النقل والعقل"[1]

إن هذه الإرهاصات والتجاذبات الفكرية التي مست العقل العربي في مسيرته الحضارية الرائدة أنتجت نمطان رئيسيان داخل الفكر الإسلامي نمط التفكير من خلال النص وهم النقليون، ونمط التفكير انطلاقا من العقل المستقبل للنص وهم العقليون، ونتج عن ذلك ثلاث أنماط أو نظم للمعرفة:

أ/ نظام معرفي بياني.

ب/ نظلم معرفي عرفاني

ج/ نظام معرفي برهاني.[2]

إن هذا الانقسام أدى في نظر "محمد جواد رضا" وهو نفس رأي أغلب نقاد التراث الإسلامي إلى تعميق "الشقة بين العامة والخاصة وزاد في حرمان العامة من نعمة الفكر العقلاني ودفع بها في صف التيار النقلي"[3] فالتيار النقلي في نظره يتكون "في معظمه من أبناء العامة الذين أتيحت لهم الظروف الاجتماعية للتعمق في الدراسات الدينية"[4]

أما التيار العقلي "فيتكون من أبناء الخاصة الذين زودهم مؤدبوهم بثقافة واسعة في مجالات الدين والأدب والعلوم وغيرها"[5] وانطلاقا من هذه الاعتبارات الفكرية سوف تتشكل فلسفة التعليم لدى مفكري الإسلام فكل واحد نظر إليها من

---

[1] محمد جواد رضا، الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ،ص 611.

[2] محمد جواد رضا،الفكر التربوي العربي الإسلامي، ص626.

[3] المرجع نفسه، ص 626.

[4] المرجع نفسه، ص626.

[5] المرجع نفسه، ص 626.

المنارة للاستشارات

زاوية معينة، رغم أنها تصب كلها لصالح التعليم الإسلامي، بل كان للمسلمين فلسفة تعليمية واضحة ومنهجية ومنهاج وغاية وأهداف للتعليم.

*فلسفة التعليم عند المسلمين:

إن الناظر في تاريخ التربية العربية الإسلامية، ليجد أن الإسلام بشموله هو رسالة تربية للإنسان مهما تعددت التسميات والمجالاتّ، فسواء قلنا تأديب أو قلنا "تربية" أو قلنا تعليم أو "تنشئة" فإن التربية الإسلامية خاطبت كل جوانب الإنسان في اجتماعه وفي فكره وفي تدبيره السياسي والمنزلي، وفي أخلاقه وفي علاقته مع ربه، وقد عرف المسلمون طيلة قرون انتاجات تربوية وتعليمية، كما كانت لهم أراء قيمة في فن التعليم وآدابه، إلى انه في علم المصطلحات التربوية العربية الإسلامية تتداول ثلاث مفردات هي جوامع الكلم التربوي عند المنظرين التربويين الإسلاميين وهي "الأدب" و"التربية" و"التعليم"[1] غير أننا نجدهم يغلبون مصطلح التأديب* وكذلك التعليم نسبة إلى المتعلمين، وبالتالي يكونوا قد سبقوا بمعرفة عناصر العملية التعليمية [معلم.متعلم.ومادة العلم]، وأعطوا إشارات ومناهج لهذه العملية، كما أضافوا الآداب الأخلاقية التي هي شرط العالم والمتعلم،غير أن المتأمل في تاريخ التربية الإسلامية وفكرها يجد الكثير من الآراء المتقدمة لدى مفكريها في هذا الشأن،حيث لم يكتفوا بمجرد،عرض أرائهم وإنما مارسوا نوع من الابستيمولوجيا على التربية ،سواء في تقدمها وتعبيرها عن علوم العصر،أو من حيث نقد المناهج وطرق التعليم ويظهر ذلك جليا عند (الفارابي، إخوان الصفا،ابن طفيل،الغزالي،وابن خلدون...).

إن الناظر إلى المقول الفلسفي الإسلامي،والمنتوج الفكري المنقول إلينا باقتضاب بعضه ترجم عدة مرات،والأخر موجود في لغة عصره،وثالث لم يتم تحقيقه بعد أو انه أهمل،ليجد خطابا تربويا متكامل ومتواصل منذ البداية ،ولعل نزوع عصر

---

[1] محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة، مرجع سابق، ص111.

* نجد "ابن سحنون" عنون رسالته التربوية "كتاب آداب المتعلمين"
ونصر الدين الطوسي، عنونها بـ "كتاب آداب المتعلمين"
وابن جماعة أطلق على رسالته التربوية عنوان "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم"
ابن حجر الهيثمي عنوانها "تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال"

المنارة للاستشارات

الانحطاط نحو الانفراد الصوفي والغلو في الزهد،هو ما افقد التربية العربية الإسلامية توازنها،حيث توقف الفكر عن العمل ،وأصبحت العزلة والانفراد الصوفي هو المسيطر،لذلك تجد التربية العربية منذ فجر النهضة صعوبة في العودة إلى بداية تأسيس الذات العربية عبر التربية التي بدأها الفارابي و انتهت مع ابن خلدون.

لقد كان الهدف العام والغاية المشتركة في فلسفة التربية والتعليم العربي الإسلامي في منظور جل المربين المسلمين هو إعداد الإنسان "للواجبات الدينية والتكيف مع الحياة الروحية، وإعداده لوعي علاقاته بالطبيعة والمجتمع والكون عامة،هما الأهداف المشتركة للتعليم الذي لا يفصل بين أنواع الوجود المادي والنفسي والاجتماعي والروحي"[1]

والسؤال الأكثر أصالة هو هل لنا بمنظور تربوي يستوحي هذا المجهود الذي بدأ ولم يكتمل؟ولماذا هذا الهروب نحو الأخر،أليس هذا هو الاستلاب بعينه؟

خاتمة:

لعله من الجدير بالاهتمام في هذا الزمن بالذات العودة إلى القراءات التاريخية الواعية التي تخص الإرث الحضاري للأمة العربية الإسلامية،قصد الوقوف على الأصول والمنابع والتحولات المختلفة ،ويكون أهم جانب قد تغافل عليه المفكر العربي تحت نير عدة ظروف تاريخية وثقافية،هو جانب التربية،وسؤالنا الذي طرح في البداية حول إمكانية إيجاد نموذج معين للخروج من الحالة المتشرذمة للتربية العربية المعاصرة،هو سؤال فلسفي يراد منه التنبيه وليس الرجوع إلى الماضي،فحالة الأمم التي قطعت أشواطا لا باس بها في تربية الأجيال المتناغمة والمسايرة للعصر لم تكن أبدا مقطوعة الصلة بماضيها وتجارب مفكريها،ليست أوربا فقط وإنما كذلك اليابان والصين وغيرها،رغم أن الحالة العربية حالة فريدة وأكثر ثراء من غيرها من الأمم،ولكنها تقبع ما دون الحضارة،ولن يحدث الإقلاع إلا عندما تتحول الأفكار والفلسفات إلى فعل تربوي للأجيال يراعي الخصوصية الحضارية والتاريخية.

[1] عبد القادر بليمان، فلسفة التعليم عند المسلمين من الفارابي إلى ابن خلدون،مجلة الحكمة ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع العدد(4) سبتمبر- ديسمبر 2010،ص20.

المنارة للاستشارات